«ساحر السينما العربية».. وداعاً

محمود عبد العزيز.. عملة نادرة بتاريخه العظيم.. ونهر من العطاء الفني الذي لا ينتهي..

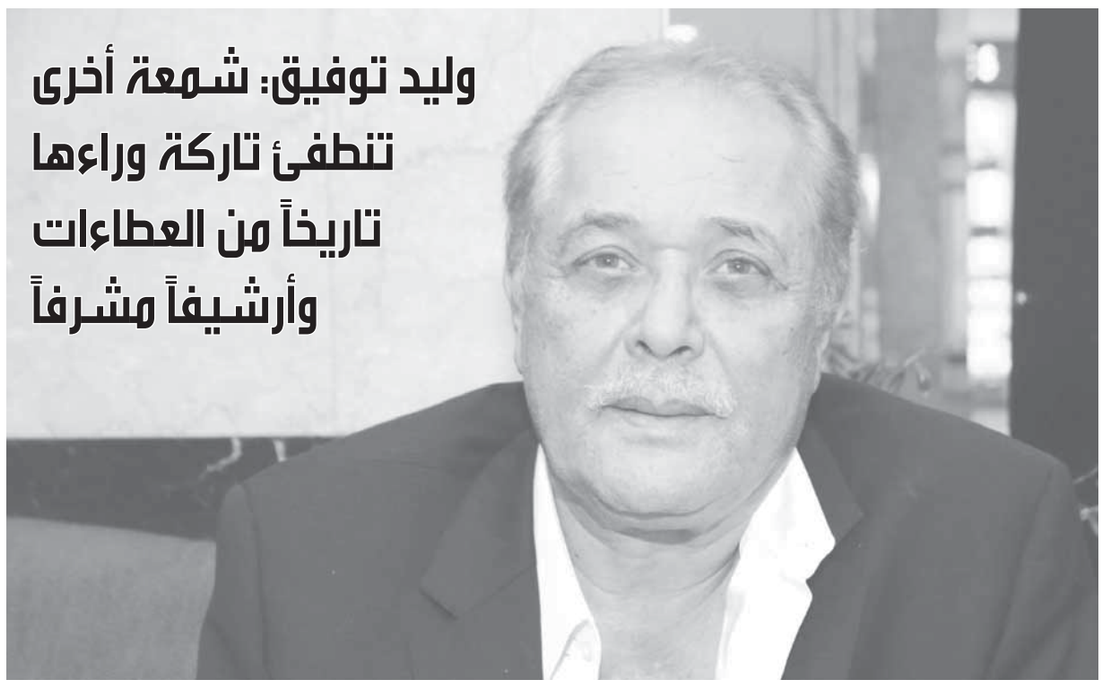

وليد توفيق: شمعة أخرى تنطفئ تاركة وراءها تاريخاً من العطاءات وأرشيفاً مشرفاً

| وائل العدس

توفي النجم المصري محمود عبد العزيز مساء السبت الماضي عن عمر ٧٠ عاماً، بعد صراع مع المرض دخل على إثره في غيبوبة طويلة بمستشفى الصفا بالقاهرة، فلم يكن الخبر هذه المرة شائعة بعدما فارق الدنيا وأغمض عينيه للمرة الأخيرة، تاركاً وراءه أفلاماً ومسلسلات شغلت الدنيا وترسخت في ذاكرة الجماهير، وصارت أيقونات لا تنافس.

عانى طوال الأشهر الماضية تدهور الجهاز المناعي بسبب مضاعفات إصابته بالأنيميا، وفرضت أسرته حصاراً حول حقيقة وضعه الصحي، وتردد أنه مصاب بضعف بالعمود الفقري، يمنعه من مغادرة المستشفى.

كما تردد أنه مصاب بأورام ليفية في اللثة، وتم الاتفاق على نقله للولايات المتحدة الأميركية لاستكمال إجراءات العلاج، ولكن حالته الصحية لم تسمح.

هو أحد أفضل وأمهر من أنجبه الفن المصري عبر تاريخه، إذ يعد عملة نادرة بتاريخه العظيم وتدرج في عالم النجومية حتى بات أحد أهم أيقونات الدراما والسينما المصرية.

ترك العديد من البصمات الرائعة سطرت اسمه في تاريخ السينما المصرية بالعرق والكفاح والجهد، وهو الفنان الذي تميز ببراعته وإتقانه لأداء الأدوار المختلفة، كما كان يعمل دائماً على الحفاظ على اسمه الذي اجتهد في صناعته طوال تاريخه ومشواره الفني. وهو أحد رواد عالم الفن، ونهر من العطاء الفني الذي لا ينتهي.

> أيمن زيدان: رحلت أيها الخلاق إلى فضاء لا يضيق برحابة موهبتك

الموت خجول

تداول ناشطون على مواقع التواصل الاجتماعي مقطع فيديو لعبد العزيز وهو يتحدث فيه عن الموت.

وكان «الساحر» (كما يلقبه محبوه نسبة إلى أحد أفلامه) يتحدث عن الموت بأحد أعماله المهمة وهو مسلسل «أبو هيبة» في مشهد جمعه بأحد زملائه بالعمل.

وقال بالمشهد: «حد يخاف من الموت؟.. الموت خجول».

ابن الإسكندرية

مثل كثيرين من الساحة الفنية، لم يدرس الممثل عبد العزيز التمثيل، بل نال درجة البكالوريوس في الزراعة وبعدها درجة الماجستير في التخصص ذاته، إلا أنه سرعان ما اتجه إلى التمثيل مطلع سبعينيات القرن الماضي مستنداً إلى موهبته.

وعمل على تنمية موهبته أثناء دراسته الجامعية، إذ انضم إلى فريق المسرح في جامعة الإسكندرية، وكانت بوابته إلى طريق الشهرة مصرياً وعربياً.

ولد عام ١٩٤٦ بحي الورديان بمدينة الإسكندرية لأسرة متوسطة الحال. ترعرع ودرس في المدينة الساحلية، لكن جل حياته فيما بعد أمضاها في القاهرة، التي ذهب إليها طلباً للشهرة رغم معارضة والدته. حيث كانت ساحة إنتاج أعماله الفنية الغزيرة وخاصة في الفن السابع.

في الدراما

كانت بداية معرفة الجمهور بالفنان الراحل من خلال مسلسل « الدوامة» العام ١٩٧٣، وأدى فيه عبد العزيز دور الصحفي «ثقيل الظل»، ونال المسلسل شعبية كبيرة.

وظل في ميدان المسلسلات التلفزيونية والإذاعية منذ ذلك الوقت حتى عام الحالي ٢٠١٦، إذ قدم نحو ١٥ مسلسلاً من أبرزها: «محمود المصري»، و«البشاير»، و«رأفت الهجان»، و«باب الخلق»، و«أبو هيبة في جبل الحلال»، و«رأس الغول» (عمله الأخير).

ولعل البصمة الأبرز كانت في «رأفت الهجان» عام ١٩٨٧، الذي جسد فيه الفنان الراحل على مدى ثلاثة أجزاء قصة الجاسوس المصري في قلب «إسرائيل»، وأصبح المسلسل أيقونة للأعمال التي تتناول الجاسوسية، ولم تفلح المسلسلات اللاحقة في هذا المجال في إحداث الأثر ذاته.

الفن السابع

ويعتبر كثيرون أن تميز عبد العزيز الأكبر كانت في السينما، فقدم ٩٠ فيلماً، وكانت الفاتحة مع فيلم «الحفيد» عام ١٩٧٤، وصعد إلى دور البطولة في العام التالي عندما أدى دور ضابط أصيب بالشلل أثناء الحرب في فيلم «حتى آخر العمر».

ومن أفلامه أيضاً: «يوم الأحد الدامي»، و«خطايا»، و«الشياطين»، و«كفاني يا قلب»، و«البنات عايزة إيه»، و«الأبالسة»، و«إعدام ميت»، و«الكيت كات»، و«الساحر»، وقد تألق في كثير من هذه الأفلام حتى أصبح أحد أيقونات الفن السابع.

جوائز

نال الفنان الراحل جوائز عديدة، كان منها جائزة أحسن فيلم عن «الكيت كات» (١٩٩١) في مهرجان الإسكندرية الدولي، وفيها مثّل الفنان الراحل دور شيخ ضرير يرصد أوضاع جيرانه بحي شعبي ويمارس الغناء رافضاً الاعتراف بفقدان البصر.

واعتبر كثيرون أن هذا الفيلم من العلامات المميزة في التسعينيات، لما يحمله من أبعاد إنسانية ووجدانية تبتعد عن السطحية المجسدة في عبارة «الجمهور عاوز كدة».

وعلى المنوال نفسه، شارك عبد العزيز الممثلة منى شلبي بطولة فيلم «الساحر» عام ٢٠٠١، وحاول فيه الساحر إدخال الفرحة إلى قلوب أبناء حيه الفقير وفاز بجائزة مهرجان جمعية الفيلم المصرية ومهرجان دمشق الدولي السينمائي.

كما فاز الفنان الراحل بجائزة أحسن فيلم عن «سوق المتعة» (٢٠٠٠)، وفي عام ٢٠١٢ منحه مهرجان دبي السينمائي جائزة «إنجاز العمر»، كما فاز بجائزتين في «مونديال القاهرة للأعمال الفنية والإعلام» خلال عام ٢٠١٥.

زواج

تزوج من السيدة جيجي زويد، التي أنجب منها ثلاثة أبناء منهم ولدان يعملان بالتمثيل هما كريم ومحمد، والأخير يعمل بالإنتاج أيضاً، كما تزوج من الإعلامية بوسي شلبي.

شائعة الاعتزال

عندما رحل عدد كبير من أصدقائه المقربين كالمخرج عاطف الطيب والممثلة سعاد حسني، رفض التعامل مع الناس، وجلس وحيداً في غرفته يبكي بالساعات، ما جعل شائعات الاعتزال تطارده فتزيد من قسوة الأيام عليه.

كما واجه الساحر صعوبات كبيرة عندما انفصل عن زوجه الأولى «جيجي»، بعد سنوات طويلة من الحب والعشرة، وفوجئ بعد ذلك بلجوئها إلى القضاء للحصول على مستحقاتها من نفقة على الرغم من عدم رغبته في مناقشة مشكلاتهما العائلية على الساحة العامة.

الأواخر

آخر فيلم طويل شارك فيه كان «إبراهيم الأبيض» عام ٢٠٠٩، الذي شارك فيه الفنان أحمد السقا والفنان عمرو واكد، ولاقت شخصية «عبد الملك زرزور» التي قدمها عبد العزيز، نجاحاً كبيراً لدى الجمهور، بسبب بعض الجمل والتعبيرات المميزة.

وكان آخر تكريم حصل عليه في حفل مؤسسة الأهرام للدراما التلفزيونية، حيث حصل على درع المؤسسة، استلمها عنه نجله الفنان محمد، الذي طالب وقتها الصحفيين بتحري الدقة خلال تناول حالة والده الصحية.

ورغم أن أعمال الفنان الراحل كوميدية في معظمها، إلا أنه كان يركز خاصة في الفترة الأخيرة، على أن تحمل قصة جادة في نفس الوقت، حيث كان آخر مسلسل له هو «رأس الغول».

المسلسل من إخراج أحمد سمير فرج، وتأليف، وائل حمدي وشريف بدر الدين، وشارك عبد العزيز في البطولة كل من الفنان فاروق الفيشاوي، والفنانة ميرفت أمين.

وبالانتقال إلى آخر شائعة فكانت أول جملة كتبها عبر حسابه الرسمي على موقع تويتر هي «حد ليه شوق في حاجة؟»، التي تميز بها في فيلم «إبراهيم الأبيض»، لكن بعد فترة قليلة، فوجئ المتابعون بتغريدة غريبة جاء فيها أن مسلسل «رأس الغول» سيكون آخر مسلسل يقوم عبد العزيز ببطولته.

فُهم من التغريدة أن عبد العزيز، سيعتزل بعد هذا المسلسل، وسرعان ما تحول خطأً في صيغة التغريدة إلى إشاعة تناقلتها المواقع الإخبارية، وتم نفيها بعد ذلك، وعقب ذلك استلم الفنان الراحل حسابه على تويتر وأداره بنفسه.

وفي آخر مشاركة إعلامية، أجرى الفنان الكبير مداخلة هاتفية مؤثرة مع المذيعة منى الشاذلي في برنامج «معكم» المذاع على قناة CBC، وذلك في تشرين الثاني عام ٢٠١٥، بعد أن حضر في فرنسا، خلال الأحداث الإرهابية التي شهدتها العاصمة باريس، وتصادف وجوده بالقرب من أحد الأماكن التي تعرضت للهجمات الإرهابية، وقرر إثر ذلك العودة إلى مصر في اليوم التالي.

بكى خلال المداخلة بعد تأكيده أن مصر أيضاً تتعرض لمؤامرة كبيرة جداً، كما عبر من خلال المداخلة عن «خنقته» من الأوضاع الحالية التي تتعرض لها مصر، مؤكداً أنه «مهموم جداً»، وقال: «اللي مش فاهم أن الحرب على مصر كبيرة يبقى حمار»، وتحدث كأي مواطن بسيط عن علاقة مصر مع باقي دول العالم، بقوله عبارات مثل «المتغطي بأميركا عريان».

رثاء إلكتروني

رثى وعزّى كثير من الفنانين السوريين والعرب الفنان الراحل بكلمات مؤثرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وهذا بعض ما نشر:

■ أيمن زيدان: جرعة مرارة رحيل المبدع لا يخفف ثقلها على الروح سوى أن يكون الأحياء أوفياء لكل ما أنجزه من إبداع.. طوبى لشعب كان وفياً لمن أعادوا رسم الحلم وواحد منهم ساحر السينما المصرية محمود عبد العزيز، رحلت أيها الخلاق إلى فضاء لا يضيق برحابة موهبتك.

■ سلاف فواخرجي: العزيز محمود، ذاك البريق في عينيك لن ينطفئ حتى بالموت، وتلك الضحكة الصادقة المجلجلة في الأرجاء لن يسكتها شيء حتى الرحيل، ستبقى حاضراً كشعاع شمس لا يختلف أحد على رؤية نوره والإحساس بدفئه، في فيلم في مسلسل وفي أغنية وفي جملة وفي نكتة وفي فرح وفي حزن.. في كل لحظة تبدع فيها حد التجلي تعلمنا كفنانين وتمتعنا كمتفرجين، ستبقى محبتك لي ولهفتك عليّ ويدك القوية التي أخذت بيدي جزءاً من تاريخي الذي أحبه لأنك كنت وما زلت فيه.

■ فادي صبيح: محمود عبد العزيز، عطاء بكل الألوان، رحمة الله عليك.. ستبقى في القلب والذاكرة.

■ نسرين طافش: رأفت الهجان.. الساحر، مشوار طويل من العطاء ومحطات لا تنسى.. إلى اللقاء محمود عبد العزيز والسلام لروحك الطيبة والصبر والسلوان لذويك.

■ سوزان نجم الدين: رغم أن الموت حق، ورغم أنني كنت أدرك مدى قربه منك، عندما كنت بقربك منذ أيام، إلا أنني لا أصدق أنني أنعيك اليوم، وأقف أمام هذا الخبر المفجع، مصدومة وغير مصدقة. رحمك الله وألهم أهلك وذويك وزوجتك الصديقة الحبيبة بوسي الصبر والسلوان.

■ صفاء سلطان: مهما وصفناك بالكلام فهو قليل عليك، أستاذ وفنان كل الأجيال، ربينا على إبداعك ورحلت وتركت وراك مدرسة مازلنا نتعلم منها، رحلت جسداً وبقيت معنا روحاً وفناً راقياً، خسر الفن العربي قامة كبيرة من قاماته.

■ شكران مرتجى: رحلت وأخذت معك مني ذكريات عمر جميل ولهفة صبية في مطلع الفن تصبو للقائك لأن ذلك الرأفت كان جزءاً دافئاً من ليالي شتاء قريتها الباردة.

■ ميسون أبو أسعد: تبكيك سورية كما مصر ومئات ملايين القلوب التي دخلتها وسكنت فيها ولم تخرج يا ساحر، بكيتنا من القلب.. الله يرحمك.

■ قصي خولي: وداعاً أيها الساحر، وداعاً رأفت الهجان، وداعاً الأستاذ محمود عبدالعزيز، رحمة الله عليك وأسكنك الله فسيح جناته.

■ راغب علامة: خبر مؤلم ومحزن أن نخسر فناناً وأن أخسر صديقاً، رحم الله حبيب القلب العملاق محمود عبدالعزيز.

■ يسرا: وداعاً محمود عبدالعزيز، مش هيجي زيك تاني أبداً.

■ هند صبري: محمود عبدالعزيز في ذمة الله، أحد أهم الممثلين الذين عرفهم العالم العربي، سيظل خالداً بأعماله... يوم حزين، الله يرحمه ويصبر أهله.

■ كارول سماحة: خبر حزين جداً وفاة الفنان الكبير محمود عبد العزيز أسطورة في السينما العربية تبقى في ذاكرتنا إلى الأبد.

■ أحلام: ترجل الفارس ترجّل الهجان. خسر الفن العربي «الساحر»، واحد من عباقرة الجيل في الفن والطيبة والشهامة.

■ غادة عبد الرازق: البقاء لله في أوفى وأعظم فنان، جوه قلوبنا دائماً.

■ وليد توفيق: شمعة أخرى في عالم الفن تنطفئ تاركة وراءها تاريخاً من العطاءات وأرشيفاً مشرفاً، رحمة الله عليك يا صديقي.

من أعماله

بين الكلمة والصورة ودراميّة المشهد

الشاعرة «ريما محفوض»... البحث عن الذات في قصيدة نثريّة

| عامر فؤاد عامر

لا بدّ أن صدور ٤ دواوين دفعة واحدة ومن دون تأريخ للقصائد التي تكتنفها تلك الدواوين، يحرم القارئ متعة المتابعة في تطور القصيدة ونموها الأدبي عند الشاعرة «ريما محفوض»، لكنه جهدٌ لن نتركه دون تعقيب، وهو اجتهادٌ في مضاعفة الرغبة نحو المساهمة في البناء للغة شعريّة تعلّق بها شبابنا اليوم ولاسيما في قصيدة النثر.

حلاوة الملح

يحمل ديوان «حلاوة ملح» خمسين قصيدة جاءت بمجملها مكونة من ألفاظ سهلة ومفهومة وقريبة من القارئ ولم يكن فيها أي نوعٍ من الألفاظ الجزلة أو الغريبة أو غير المطروقة، مثل: «ريح، زمن، بحر، روح، قلب، ليل... وهكذا». وتميزت قصيدة «عبور» في هذا الديوان بروحانيّة وجمالٍ خاص في المعاني ونذكر منها:

عبورٌ وهمي الألوان
يحمل الجسد إلى مكانٍ
يترك الروح هنا
على ناصية الوجع
ترْثي أحياءً أموات!!

كما يستوقف القارئ العديد من القصائد التي تحمل صورها الجميلة مثل: رصاصة نادمة»، وقصيدة «يصيح الديك» التي تعالج الحبّ والعاطفة بين رمزٍ للذكر والأنثى وحبات الرمان بينهما، لكننا نلاحظ أيضاً أن الحبّ محور معظم قصائد الديوان، وخطاب الأنثى للرجل يعلو كثيراً فيها أيضاً، وفي قسمٍ منها انكسار الأنوثة أمام الرجل، فلا ورود لنصٍ يتحدّى. ومن النصوص الجميلة «دعواً الكروم» وفيه دعوة للسلام والمحور فيها الوطن، وفي قصيدة تالية «سلميّة» أيضاً خصوصيّة للمكان وإخلاصٌ للمنبت.

توّحد مع القمر

تتجدد قصائد خمسون أخرى في ديوان «توّحد مع القمر» وفي العنوان صورة أنثويّة بارزة وقصيدة مميزة تلاقينا كنوع مختلف في نمط كتابة المؤلفة وهي قصيدة «حمّى» ففيها قوّة لتوصيف المعاناة وشكوى الحال، ومقدرة على تجسيد الحرف بالمعاناة، والختام مع الصلاة التي تصفها بأنها أكثر حناناً على خدّها. وفي الديوان أيضاً قصيدة شكوى ونداء بين الهمس والصوت العالي وقصيدة «حوارٌ صامت» والتي نقتطف منها:

بكاء الكأس الفارغة
لم يستجد
زجاجةً كسيحةً
السيجارةُ المطفأةُ
ضحكت
وبكت احتراقاً!!
وحدها بقايا النّبيذ
على حواف الكأس
كانت سكرى
بالشفاء الغائبة!!

جاءت الألفاظ أكثر إيحاء واقتربت الشاعرة هنا من حالات الوجد والارتقاء بالعاطفة من خلال الإغراق بذاتيتها. ويتكرر ذلك في عدّة قصائد أجملها جاء في قصيدة «قلمي» وحوارٌ دافئ بين هذا الصديق وبينها.

جسورٌ متأرجحة

تعاقب جديد لخمسين قصيدة جديدة في ديوان «جسور متأرجحة» وفي الديوان حالة من الخطاب وحالة من الفرديّة التي خطّت بها الشاعرة أفكاراً ومشاعر ارتبطت بتأرجح العنوان، وجاءت التعابير بين توصيف ووقفات صامتة، يتخللها حالات من الصلاة والمناجاة، وفي قصيدة «ليس للأرواح ظلال» تتعمق الحالة الخطابيّة في جوانب ويزداد وضوح المونولوج الداخلي، أمّا في قصيدة «حكاية الليل» فتتضح ملاحظة الحالة الوصفية والمشاهد الصامتة أكثر، وكان من الممكن أن يتطور الأسلوب هنا ليمنحنا وصفاً دراميّاً بين حالين، لكن ذلك بقي مبطناً غير معلن، أمّا في قصيدة «كلماتي» فضجيج الخشوع والصلاة واضح جداً، وبصورة عامة جاءت قصائد هذه المجموعة بشكلٍ أطول وبمعانٍ أكثف.

ريتّا

عنونت «ريما محفوض» القصائد الخمسين الأخيرة التي تناولناها بـ«ريتّا»، وريتّا هنا تحلق في أرجاء الروح وتهيم اشتياقاً في حياة الشاعرة وكأنها تفصيلٌ أصيلٌ منها، ومنها نأخذ:

حلّقي في أرجاء روحي
كسربٍ من فراش
متحدٍ بالريح والنور
وادخُلي صدري
ريتا...

يجسد الديوان أحاسيس منوّعة حملت مثال الذاتيّة المفرطة ولربما في قسمٍ منها كانت بعيدة جداً في التقاطع مع الآخر، وكأنها هموم ومواجع وتجارب خاصة في ذات الشاعرة. وتميزت قصائد المجموعة بالقصر مقارنة بقصائد باقي المجموعات.

وماذا بعد؟

جمعت الدواوين الأربعة حالات مشتركة من حيث تصدر صورة الشاعرة الشخصيّة للأغلفة، وهذا ما لم نعتده في دواوين الشعر السوريّة على الأقل، وأيضاً من قرأ واعتنى وقدم في الكتب الأربعة الناقد المصري «محمد محمود دحروج» وكان الوصف المرفق مع اسم الشاعرة هو «شاعرة السلميّة»، وبينما الوصف المرفق للناقد هو «ناقد الجيل».